



مركز المسبار للدراسات والبحوث

Al Mesbar Studies & Research Centre

المسيحيون في الشرق

الكتاب الواحد والتسعون – يوليو (تموز) 2014

كتاب شهري يصدر عن مركز المسبار للدراسات والبحوث

مسيحيو المشرق والفاتيكان

يوسف مونس*

**العلاقة الأساسية بين المسيحية المشرقية
والفاتيكان تتأسس على هذه المقولة: «إيماني إيمان بطرس»
وهي تعبر عن التعلق بالكرسي الرسولي في الفاتيكان.**

(* أستاذ اللاهوت والأنثروبولوجيا والسوسولوجيا الدينية في جامعة الروح القدس (لبنان).

الألف الأول

في الرسالة البابوية «الألف الأول» (إطالة الألف الثالث، الفاتيكان 1994) نجد هذا الارتباط الذي هو في المجامع الأولى التي أسست العقائد في زمن عصفت فيه الانشقاقات والنزاعات، وقامت مجموعات كنسية بتأسيس شخصيتها الخاصة وشرح لمعتقداتها يميزها. من هنا كانت الانشقاقات والهزات والانفصالات والانقسامات التي ميزت وطبعت الأجيال الأولى من حياة الكنيسة، حيث ظهرت النسطورية والأريوسية والمظهرية وسواها.

البابا هرمزدا

تخبر الرسالة إلى البابا هرمزدا سنة 518⁽¹⁾ بما عاناه الموارنة بسبب تعلقهم بكرسي بطرس وجواب البابا لاون العاشر (+1521) لبطرك الموارنة، وتعلن أنهم «في استقامة الرأي على إيماننا المستقيم المشترك، وأنكم تكرمون غاية الإكرام الكنيسة الرومانية المقدسة... ولم تحيدوا قط عن ذلك الإيمان... إنكم كالورود بين الأشواك، أنتم الأمناء بين الكنائس الشرقية، وفي وسط غير المؤمنين في حقل الضلال... وحفظتم بتقوى وشجاعة طقوس الكنيسة المقدسة الجامعة، فما انحرفتم عن الإيمان بالمسيح في التضييقات ولا في الاضطهادات ولا في الشدائد. لا من قبل غير المؤمنين ولا من قبل الهرطقة».

الكنيسة في الشرق الأوسط

هذه العلاقة بين المسيحيين الشرقيين والفاتيكان استمرت مع مرور الأيام، خصوصاً في مراحل الأزمات الأخيرة التي حلت بفلسطين والأردن والقدس ولبنان وسوريا والعراق والجزائر ومصر وتونس والمغرب والسودان والصومال وقبرص وغيرها.

(1) مار مارون، جامعة الكسليك، لبنان، 1979 ص47-48.

تُوّجت هذه العلاقة مع الفاتيكان مع الإرشاد الرسولي الأخير، الذي قدمه قداسة البابا للكنيسة في جزيرة قبرص «الإرشاد الرسولي: الكنيسة في الشرق الأوسط- الفاتيكان 2012»، خصوصاً بعد هجرة المسيحيين الكبيرة من سائر البلاد العربية بسبب حركات التكفير وفتاوى القتل والموت والتطهير الديني، وقد ابتعد الفكر العربي عن زمن العقل الذي كان مع ابن رشد والحركة التاريخية الاجتماعية مع ابن خلدون وسواهما الكثير من المفكرين والفلاسفة والرواد في نهضة المجتمع والعقل والثقافة والحضارة، وتراجعت المؤسسات المنورة للإنسان العربي والمؤثرة في السلوكيات وبهاء الصورة التي قدمها الآباء والأسلاف والأجداد في حركاتهم التأسيسية، من التصوّف إلى النقد التاريخي والاجتماعي والسياسي وحركات التحرير والتغيير والتقدم والتحديث، ومواكبة العصرية والمتغيرات التاريخية والإنسانية والحضارية والفنية.⁽²⁾

البابوات من أصل مشرقى

هذه العلاقة كانت منذ بداية تاريخ الفاتيكان، وخصوصاً مع بعض البابوات من أصل فينيقي، كالبابا «أنيس» المولود في حمص، والذي مات سنة 167م. والبابا يوحنا الخامس (سنة 686م) والبابا سرجيوس الأول (سنة 687م) والبابا سيسينيوس المولود في صور، والبابا قسطنطين الأول (سنة 715م) والبابا غرغوريوس الثالث (سنة 731م)⁽³⁾. وتابع هذه العلاقة البابا بولس السادس، ويوحنا بولس الأول، ويوحنا بولس الثاني، وبندكتس السادس عشر، والبابا بيوس الثاني عشر (سنة 1958).

الحوار بين الأديان

أما الإرشاد الرسولي الذي صدر مؤخراً عن الفاتيكان العام 2012 «الكنيسة في الشرق الأوسط» فيركز على الحوار بين الأديان وعلى تلاقي الحضارات ولاسيما

(2) انظر: الحضور المسيحي في لبنان، بحث نشر في جامعة الكسليك (لبنان)، الصفحات 391-409.

(3) عبود، يعقوب، البابوات ولبنان، منشورات اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام، لبنان، 1987.

غنى التلاقي مع الإسلام (الفقرة 23) خصوصاً بالصلاة والزكاة والصيام، يكرمون يسوع كنبى من دون أن يعترفوا مع ذلك بألوهيته، ويجلّون مريم العذراء... ولكن للأسف، الاختلافات العقائدية سمحت لبعض المسلمين أن يبرروا باسم الدين ممارسات تعصّب وتمييز وتهميش، وحتى الاضطهاد، حتى قول ماركس «إن الدين هو أفيون الشعوب».

ثقافة الحياة معاً

من هنا يدعو الفاتيكان في الفقرة 25 (رجاء جديد للبنان - الفاتيكان 1997) للمشاركة في الحياة العامة، ولتتمتع بمواطنة كاملة، وألا يُعامل المسيحيون كمواطنين أو مؤمنين من درجة ثانية. من هنا التركيز على الحرية الدينية (الفقرة 26) وعلى التسامح الديني (الفقرة 27) وعلى أهمية كرامة الشخص البشري وحقوقه الأساسية التي هي حقوق كل شخص بشري وكل مواطن، مهما كان أصله أو قناعاته الدينية وخياراته السياسية (الفقرة 25). من هنا الحق بالاختلاف والحرية والديمقراطية والتعدد في شراكة العيش الكريم بالرجاء. هذه المسكونية هي الشراكة الحقة بالمحبة والاحترام وحق الآخر بالاختلاف. وهذا ما يرفضه التكفيريون اليوم والسلفيون، مدمرين حرية الإنسان عائشين في مدينة «الطاعون» (La peste) التي كتب عنها ألبير كامو (Albert camus) (1913-1960)، والتي يضربها برص الكراهية والحق من دون رحمة أو شفقة، مبتعدين عن الإيمان بإله واحد خالق يجب الإنسان، وعن احترام القرآن لمريم، وقد كرس لها سورتين في القرآن الكريم وذكرها وحدها 37 مرة. من دون «نسبوية» تقول بالمماثلة بين الأديان (فقرة 27) ومن دون إعادة النظر في العلاقة الأنثروبولوجية مع الدين ومع الله، لأنه على الرغم من تضارب الآراء في الشؤون البشرية والدينية، فثمة شعاع من الحقيقة ينير كل إنسان (الفقرة 27).

الحقيقة ليست صنماً

الحقيقة ليست صنماً (الفقرة 27) لأنها لا تنمو إلا في الغيرية التي تفتح على

الله وعلى الآخرين «ليست الحقيقة ملكاً لأحد»... ولا يمكن عيشها إلا في الحرية، لذلك لا يمكننا فرض الحقيقة على الآخر، فقط في لقاء المحبة تعتلن الحقيقة» (الفقرة 27). «إن انعدام الثقة والأذية، ليس قدرًا محتومًا. باستطاعة الأديان أن تلتقي معًا لخدمة الخير العام وللمساهمة في تكامل كل شخص وفي بناء المجتمع» (الفقرة 28). (المحبة في الحقيقة، الفاتيكان 2009).

من هنا على الجميع التصدي للجهل، وتنمية المعرفة، وحوار الحياة اليومية، تسهم في حب الآخر واحترامه، فلا الفرق في العلمانية المتطرفة ولا الأصولية العنيفة، تعطي الشرق الأوسط السلام والأمان، من هنا أهمية قبول وحدة في تمايز يحدد العلاقة بين الروحي (الديني) والزمني (السياسي) لأن كليهما مدعوان أن يتعاونوا في سبيل الخير العام (الفقرة 29 الإيمان والعقل، الفاتيكان 1998)

وربما كان أهم حدث في العالم المسيحي المشرقي «الإرشاد الرسولي، رجاء جديد للبنان» 1997، الذي دعا إلى الانخراط في العالم العربي الفقرات (90-91-92-93) وإلى الحوار الإسلامي المسيحي، والعيش المشترك، والتضامن مع العالم العربي. لذلك يمكننا القول: إن الفهم الناقص للدين هو من العوامل المؤثرة في نشأة التطرف الديني؛ لأن المقدس هو أساس عند كل الشعوب، لكن اختياره والتعبير عنه يختلف باختلاف الشعوب وارتباطها بالجغرافيا. لأن استخدام كلمات الوحي والكتب المقدسة أو اسم الله لتبرير مصالحننا وسياساتنا أو لتبرير لجوئنا إلى العنف هو جريمة بالغة الحساسية (الفقرة 30).⁽⁴⁾

اليأس والرحيل

الخطر الكبير نجده في الفقرة 35⁽⁵⁾ وهو أنه بداعي اليأس يقرر أبناء الشرق الأوسط الأصليون، اتخاذ الخيار المأسوي بترك أرض أجدادهم وعائلاتهم

(4) نجيل على: رينيه، جيرار، العنف والمقدس، ترجمة جهاد هواس وعبد الهادي عباس، دمشق، 1992؛ ونجيل أيضاً على رسالة البابا بنديكتوس، رسالة الحرية الدينية طريق نحو السلام، الفاتيكان 2010.

(5) الإرشاد الرسولي، الكنيسة في الشرق الأوسط، الفاتيكان، 2012.

وجماعتهم، من هنا تدعو (الفقرة 36) إلى قرار العيش معاً باتحاد واحترام في شركة أخوية بالحب والتقدير».

الحب والمساواة

يبنون الوطن والعائلة (الفقرة 58) بالحب في «كنيسة بيتية» تربي على الإيمان والصلاة والقيم الأخلاقية. في مساواة كيانية (فقرة 60) بين الرجل والمرأة، وتشجيع تعزيز الكرامة الشخصية للمرأة ومساواتها بالرجل (كرامة المرأة الفاثيكان 1988)، «إلى النساء» (الفاثيكان 1995) ينبغي الإصغاء (فقرة 60) لصوت المرأة وأخذه بالاعتبار والاحترام، على قدم المساواة بصوت الرجل، والاهتمام بالشباب الذين يبحثون عن معنى إنساني مسيحي دائم لحياتهم، في تقاسم حياتي للاعتقاد بالله خالق السماء والأرض، وبمثل عليا إنسانية وروحية وبناء مستقبل بلدانكم على الكرامة الإنسانيّة، مصدر وأساس الحرية والمساواة والسلام في العدالة... بحماسكم وإبداعكم المحبة وشهادة السلام (فقرة 89). فمن خلال شهادة المحبة تقدم الكنيسة مساهمتها في حياة المجتمع وترغب في المساهمة في بناء السلام الذي تحتاجه المنطقة.

حق الآخر بالاختلاف

في هذا الوقت الذي نشهد فيه تفلّت الأهواء الغريزية في العنف التكفيري والإرهابي، فإن مستقبل البشرية في الخروج من «الذنبية» إلى قبول الآخر المختلف ثقافة ودينياً وتراثاً وحضارة وسلوكاً، لظهر عاصفة الحقد والإلغاء. قبول حق الآخر بالاختلاف يعلمنا الاحترام والمحبة والاعتناء من فريدة الآخر في شراكة الحياة والمصير وسلام الأيام الآتية، لنخرج من بابل أيامنا ونقبل التحدي الكبير بفتح باب النقد التاريخي الشافي من جرح التطرف، والمؤسس لثقافة الحوار وليس لثقافة الموت، والخروج من الصنميّة الروحية، والمتحف الرجعي السلفي الديني إلى آفاق العقل والحرية والمساواة والعدالة والأخوة والسلام.⁽⁶⁾

(6) يوسف مونس، أنا أحاور إذأ أنا موجود، جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان، 2001.